

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٥٤)

فتح ذبي الجلال والاکرام

بشرح

بلوغ المرام

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

عز الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَتْحُ ذِي الْحِجَّةِ وَالْأَكْرَامِ
بِشَرْحِ
بَلُوغِ الْمَرَامِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين
إلا لمن أراد طبعه لتوزيعه مجاناً بعد مراجعة
مؤسسة الشيخ محمد صالح المنجد الخيرية
رحمة الله تعالى

المملكة العربية السعودية
عنيزة - ص.ب. : ١٩٦٩
هاتف : ٠٦ / ٣٦٤٢١٠٧ - ٠٦ / ٣٦٤٢٠٠٩
www.binothameen.com
info@binothameen.com

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

مدار الوطن للنشر والتوزيع

هاتف: ٤٢٠٤٢٠٤٢ - ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب.: ٣٣١٠

فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧

المنطقة الغربية: ٥٠٤١٤٣١٩٨ - المنطقة الشرقية والرياض: ٥٠٣١٩٣٦٦٨

المنطقة الشمالية والقصيم: ٥٠٤١٣٠٧٢٨ - المنطقة الجنوبية: ٥٠٤١٣٠٧٢٧

التوزيع الخيري: ٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣ التسويق والعروض الخارجية: ٥٠٦٤٩٥٦٢٥

Pop@dar-alwatan.com

البريد الإلكتروني:

www.madar-alwatan.com

موقعنا على الإنترنت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد..

فقد اعتنى علماء الإسلام -رحمهم الله تعالى- بسنة النبي ﷺ، روايةً ودرايةً وحفظاً وشرحاً لألفاظها وتوضيحاً لمعانيها، واستنباطاً للأحكام والفوائد منها.

ومن هؤلاء العلماء فضيلة شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- الذي كان له عناية كبيرة بالسنة النبوية، فقد عقد دروساً علمية متعددة لشرحها معتمداً في ذلك على الأدلة والنصوص من الكتاب والسنة فاحتوت شروحاته على علم غزير، وفقه واسع، وقواعد جامعة، ومنهج متميز في استنباط الأحكام والفوائد مع سهولة في الأسلوب وبُعد عن التكلف.

ومن دروسه العلمية في هذا المجال شروحاته «لبلوغ المرام من أدلة الأحكام» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام ٨٥٢هـ -رحمه الله تعالى-. وذلك خلال فترات طويلة من جلوسه للتدريس في الجامع الكبير بمدينة عنيزة.

١ - شرح مطول بعد صلاة المغرب بدأ به عام ١٤٠٠هـ وانتهى منه في عام ١٤١٧هـ.

٢ - ثم أعاد شرح الكتاب مرة أخرى وبدأ به ليلة الاثنين ١١/٥/١٤١٧هـ وانتهى منه ليلة الثلاثاء ٥/٢/١٤٢١هـ، وكان آخر حديث شرحه حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه في التشهد من باب صفة الصلاة.

٣ - تعليق مختصر لجماعة المسجد بعد صلاة العصر مباشرة في الجامع الكبير في عنيزة.

٤ - تعليق مختصر لجماعة المسجد في جامع الضليعة في عنيزة بين الأذان والإقامة لصلاة العشاء .

وفي عام ١٤١٦ هـ صدرت الطبعة الأولى من الشرح الذي يحتوي على كتاب الطهارة من بلوغ المرام حيث تفضل الشيخان : الدكتور أحمد بن محمد بن حسن الخليل ، والشيخ سامي بن محمد بن حسن الخليل بإخراجه في كتاب سُمِّي «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» واعتنياه وخرجا أحاديثه ووضعاه فهارسه . وقد رأي فضيلة شيخنا - رحمه الله تعالى - أن يراجع الكتاب المطبوع قبل إصدار طبعته الثانية وشرع في ذلك وعدل بعض نصوص الشرح غير أنه لم يكمله - رحمه الله تعالى - حيث بلغ في مراجعته إلى الحديث رقم (١٠٢) وقد أدخلت هذه التعديلات التي كتبها بخطه رحمه الله تعالى - في هذه الطبعة .

ثم تفضل الشيخان : الشيخ محمد بن صالح السحبياني ، والدكتور أحمد بن محمد العبيد بمقابلة الشروح ، والجمع بينها ، ومقارنتها ، وإضافة ما فيها من زيادة ، وتخريج الأحاديث من أول كتاب الطهارة إلى آخر باب الوضوء ، وتفضل بإكمال العمل الشيخ الدكتور بندر بن نافع العبدلي من باب المسح على الخفين إلى آخر كتاب الطهارة مع تخريج أحاديث الأبواب .

جزى الله الجميع خيرا الجزاء ، وأجزل لهم المثوبة والأجر ، وجعل ما قدموه من عمل جليل لخدمة هذا الكتاب في ميزان حسناتهم ، إنه جواد كريم .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، موافقاً لمرضاته ، نافعا لعباده ، وأن يجزي فضيلة شيخنا محمد بن صالح العثيمين عن الإسلام والمسلمين خيراً ويعلي درجته في المهديين ، ويسكنه فسيح جناته ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، سيد الأولين والآخرين ، وإمام المتقين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

١/٥/١٤٢٥ هـ

نبذة مختصرة عن فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

نسبه ومولده:

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم .
ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة إحدى مدن القصيم في المملكة العربية السعودية .

نشأته العلمية:

تعلم تلاوة القرآن الكريم على جده من جهة أمه المعلم عبد الرحمن ابن سليمان الداغ، ثم تعلم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبد العزيز بن صالح الداغ؛ وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلم علي بن عبد الله الشحيتان حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولما يتجاوز الحادية عشرة من عمره بعد .
وبتوجيه من والده - رحمه الله - أقبل على طلب العلم الشرعي وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتب أحد طلبته الكبار - وهو الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله - لتدريس المبتدئين من الطلبة، فالتحق الشيخ بحلقته حتى أدرك من العلم في

التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك، وبعد ذلك انضم إلى حلقة فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي نفسه، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، وأصوله، والفرائض، والنحو، كما حفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدُّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً، أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه، وتأصيله، وأتباعه للدليل، وطريقة تدريسه، وقد توسّم فيه النجابة والذكاء وسرعة التحصيل، فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقة.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار على فضيلة الشيخ بعض إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في ذلك، فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢هـ و١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في المعهد - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة الشيخ المفسّر محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدّث عبد الرحمن الأفريقي - رحمهم الله تعالى.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن

باز- رحمه الله-، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم تابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

بدأ العلامة محمد الصالح العثيمين التدريس في الجامع الكبير بعنيزة على نطاق ضيق في عهد شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ وذلك عام ١٣٧٠هـ.

ولما تخرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله - فتولَّى بعده إمامة الجامع الكبير بعنيزة، وإمامة العيدن فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي المكتبة التي أسسها شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله تعالى- عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ يدرِّس في المسجد الجامع نفسه. واجتمع إليه طلاب كثيرون من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس. وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك؛ إماماً وخطيباً ومدرِّساً،

حتى وفاته رحمه الله .

بقي الشيخ مدرّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى .

وفي فترة تدريسه بالمعهد شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وعضوية لجنة الامتحانات العامة فيها، كما ألّف عددًا من الكتب المقرّرة بها .

درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج وشهر رمضان والعطل الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ حتى وفاته رحمه الله تعالى .
وكان للشيخ - رحمه الله - أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فكان يسأل ويناقش ليزرع الثقة في نفوس طلابه، ويلقي الدروس والمحاضرات بهمة عالية؛ متمتعًا بذلك ومبتهجًا بنشره العلم وتقريبه إلى الناس .

جهوده غير التدريسية:

للشيخ - رحمه الله - جهود كثيرة جدًّا؛ إضافة إلى التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء منها ما يأتي :

* كان عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته .

* كان عضوًا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ - ١٤٠٠هـ .

* كان عضواً في مجلس كلية الشريعة، وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.

* كان عضواً في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢ هـ إلى وفاته رحمه الله تعالى حيث كان يلقي دروساً ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل التي يسأل عنها.

* تولى رئاسة جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥ هـ إلى وفاته.

* ألقى محاضرات كثيرة جداً داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات إسلامية في جهات مختلفة من العالم.

* كان أحد علماء المملكة الكبار الذين يجيبون عن أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشريعة؛ وذلك عبر البرامج الإذاعية من المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج «نور على الدرب».

* نذر نفسه للإجابة عن أسئلة السائلين؛ هاتفياً وكتابياً.

* رتب لقاءات علمية منظمة مجدولة؛ أسبوعية وشهرية وسنوية.

* شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.

* كان يهتم بالجانب الوعظي والسلوك التربوي، واعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله واستقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.

* وللشيخ - رحمه الله - جهود كبيرة موفقة في ميادين البر والإحسان إلى الناس، وقضاء حوائجهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص .

آثاره العلمية:

اهتم - رحمه الله تعالى - بالتأليف وتحرير الفتاوى التي تميزت بالتأصيل العلمي الرصين، وقد صدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت دروسه العلمية من التفسير للقرآن الكريم، وشرح للحديث الشريف، وللمتون الفقهية .

وللشيخ موقع على شبكة المعلومات الدولية أنشئ خصيصاً من أجل الفائدة العامة، وقد سجل عليه كل ما كتبه الشيخ، بالإضافة إلى المحاضرات والخطب والفتاوى والدروس الصوتية التي كان يلقيها فضيلته .

وهكذا تتبين جهود الشيخ - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من نصف قرن من العطاء؛ تدريساً وإفتاءً ووعظاً وتأليفاً وبرا وإحساناً، وكان ممن آتاهم الله - سبحانه وتعالى - ملكة عظيمة في استحضار الآيات والأحاديث لتعزيز الرأي الراجح في الأمور الشرعية، وممن وهبهم الله قدرة على استنباط الأحكام والفوائد، وسير أغوار اللغة العربية؛ معاني وإعراباً وبلاغةً .

ولما تحلّى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة أحبه الناس محبةً عظيمة، وقدّره الجميع كل التقدير، وقد منح جائزة الملك فيصل - رحمه الله - العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤ هـ . وجاء في الوثائق التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي :

أولاً: تحلّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدریسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثاً: إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.

خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة

الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

عقبه:

وأما عقبه فله خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم:

عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

وفاته:

توفي - رحمه الله تعالى - بمدينة جدة قبيل مغرب يوم الأربعاء، الخامس

عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصلى عليه الآلاف المؤلفة في المسجد

الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الحشود في مشاهد عظيمة

لا تكاد توصف حيث دفن بمكة المكرمة. وبعد صلاة الجمعة من اليوم الثاني

صلي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومنَّ عليه

بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خيراً.

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فهذه الليلة هي ليلة الاثنين الحادي عشر من شهر جمادى الأولى عام سبعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة ، وبها نفتتح دراستنا لـ «بلوغ المرام» ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغنا جميعاً المرام في الدنيا والآخرة^(١) .

اعلم أولاً: أن أصل أدلة الأحكام التي تعبدنا الله بها شيئان : الكتاب والسنة . وما صحَّ عن النبي ﷺ من السنة فله حكم الكتاب تماماً ؛ لأن النبي ﷺ حذَّر مَنْ يَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَعْمَلُ بِالسُّنَّةِ بِقَوْلِهِ : «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مِتَّكَتًا عَلَى أُرَيْكْتِهِ ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»^(٢) ، وهذا تحذير من النبي ﷺ لمن يأخذ بما في القرآن ، ولا يأخذ بما في السنة .

(١) هذه مقدمة الشارح رحمه الله تعالى في آخر مرة شرح فيها كتاب البلوغ؛ ليعلم أن هذا الشرح كان دروساً يلقيها فضيلة شيخنا على طلابه .

(٢) رواه أبوداود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٥) ، والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ رقم (٢٦٦٣) ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ رقم (١٣) ، والحاكم ، (١٠٨/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

فالأصلان اللذان تنبني عليهما الأحكام التي تعبدنا الله بها هما: الكتاب والسنة. أما الإجماع: فإنه دليل مستند على الكتاب والسنة، ولولا الكتاب والسنة ما كان الإجماع دليلاً، إذاً فهو ثابت بالكتاب والسنة. كذلك القياس ثابت بالكتاب والسنة، ولولا الكتاب والسنة ما صار القياس دليلاً، وحينئذٍ تنحصر الأدلة التي تثبت بها الأحكام بالكتاب والسنة.

بعد هذا نقول: الكتاب العزيز لا يحتاج إلى نظر في إثباته؛ لأنه ثابت بطريق التواتر المفيد للعلم القطعي الذي لا يعتريه الشك ولا التردد؛ لأن الأمة نقلته قرناً عن قرن، وصغيراً عن كبير، ولم يختلف فيه أحدٌ. ولهذا قال أهل العلم: من أنكر حرفاً واحداً من كتاب الله عزَّ وجل مما لم يكن قراءة؛ فإنه كالذي أنكر القرآن كله فيكون كافراً؛ إذاً: الناظر في الكتاب العزيز لا يحتاج إلى النظر في ثبوته؛ لأنه ثابت بالتواتر القطعي الذي لا يعتريه الشك، لكنه يحتاج إلى النظر في دلالة على الحكم، وهذا هو الذي يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً وكثيراً، فربما يستنبط بعض الناس من الآية الواحدة أكثر من حكم، بل عشرات الأحكام، وآخر لا يستنبط منها إلا قليلاً أو لا يستنبط منها شيئاً؛ ولهذا لما سأل أبو جَحِيْفَةَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «هل عندكم شيء من الوحي غير القرآن؟» يعني: مما يقال: إنه أوصى أن تكون الخلافة لعلي بن أبي طالب وما أشبه ذلك مما أشيع، أشاعته الشيعة في ذلك الوقت، قال رضي الله عنه: «لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهماً - وإلا هنا استثناء

منقطع - يعطيه الله تعالى رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة . قال : وما في هذه الصحيفة؟ قال : العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»^(١).

الشاهد قوله : (إلا فهماً)؛ فإن الناس يختلفون في فهم كتاب الله عز وجلّ اختلافاً عظيماً .

ولا يخفى علينا أن أصول التفسير وقواعده تدل على أن أول ما يفسر به القرآن هو القرآن الكريم؛ لأن الكل كلام الله، والله تعالى أعلم بمراده في كلامه، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة ولا سيما الفقهاء منهم، ثم بأقوال التابعين الذين أخذوا التفسير عن الصحابة .

أما السنة : فيحتاج الناظر فيها لإثبات الحكم إلى أمرين :

الأمر الأول : ثبوتها عن النبي ﷺ .

الأمر الثاني : دلالتها على الحكم .

فيشترك القرآن والسنة في هذا الأخير، وهو : «الدلالة على الحكم»، وتنفرد السنة بالنظر في ثبوتها عن النبي ﷺ؛ لأن ما ينسب إلى الرسول ﷺ فيه الصحيح، وفيه الحسن، وفيه الضعيف، وفيه الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ؛ لهذا احتاج الناس إلى أن يعرفوا كيف صحّت النسبة إلى رسول الله ﷺ؟ فألفوا في ذلك الكتب الحديثية العظيمة، ثم ألفوا أيضاً كتب الرجال وبيان أحوالهم، ثم ألفوا أيضاً كتب التاريخ لبيان مواليد

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١).

الرجال ووفياتهم؛ لأن الناظر في ذلك يحتاج إلى معرفة الرجال بأحوالهم، هل هم عدول أو غير عدول؟ هل هم حفاظ أو غير حفاظ؟ ثم يحتاج إلى تاريخ حياتهم ووفاتهم من أجل أن يسلم من أن يحكم على السند بأنه متصل وهو منقطع؛ لأنه إذا تقدّم موت الشيخ ونسب أحد إليه رواية وهو لم يدرك وقته، علمنا بأن هذه الرواية منقطعة.

إذا لا بد من تعب في إثبات ما يُنسب إلى رسول الله ﷺ؛ ومن ثمّ احتجنا إلى مصطلح الحديث وقواعده، وإلى مراجعة كتب العلماء فيما يتعلق بالمصطلح، وهو باب واسع متعب، ولقد كان الناس في برهة من الزمن طويلة لا يعتنون بهذا كثيراً؛ لأنهم انهمكوا في تحرير المذاهب وتنقيحها والتفريع عليها، لكن في الآونة الأخيرة -والحمد لله- بدأ الناس يهتمون بعلم الحديث، والنظر في سند الحديث ومثته، والنظر في كلام أهل العلم فيه، فأصبح هناك اهتمام كبير في طلب علم الحديث، وهو أمر لا بد منه.

ثم إن العلماء رحمهم الله ألفوا في الحديث على جهات شتى: منهم: من ألف على الأبواب، ومنهم: من ألف على المسانيد، إلى آخر ما هو معروف في علم المصطلح، ومن ألف على الأبواب في أحاديث الأحكام حافظ مصر في عهده «أحمد بن علي بن حجر العسقلاني»^(١) رحمه الله،

(١) وهو الإمام، الحافظ، قاضي القضاة، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكناني العسقلاني، ولد في الثامن عشر من شعبان سنة (٧٧٣هـ) بمصر، وطلب العلم، وبرع فيه، وتصدى للتدريس والقضاء وله شعر جيد، ومصنفات عديدة، توفي ليلة السبت، ثامن عشر ذي الحجة، =

ألف هذا الكتاب المبارك: «بلوغ المرام من أدلة الأحكام»، وهو كتاب مختصر؛ لكنه مفيد فائدة عظيمة، فإذا وفق الله تعالى من يشرحه شرحًا وافيًا بحيث يتكلم على الحديث الذي يحتاج إلى الكلام على سنده وثبوتة، ويتكلم أيضًا على مفرداته من حيث المعنى اللغوي والشرعي، ثم يتكلم على شرح الحديث مبينًا أسبابه والمناسبة التي تحدّث بها النبي ﷺ في هذا الحديث، وكذلك مبينًا الفوائد، لو وفق هذا الكتاب بمثل هذا الشرح، لكان أسفارًا عديدة، ولحصل فيه فائدة كثيرة، لكن الناس يغلب عليهم حبُّ الاختصار خوفًا من الملل من وجه، واجتنابًا للمشقة والكلفة، نسأل الله أن يثيب مؤلّفه خيرًا، وأن ينفعنا به.

يقول المؤلّف رحمه الله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ قَدِيمًا وَخَدِيثًا» ابتداءً الكتاب بالحمد لله اقتداءً بكتاب الله عزّ وجل؛ فإن القرآن الكريم أوله فاتحة الكتاب وهي كما تعلمون مبدوءة بالحمد لله، مع أن فاتحة الكتاب ليست هي أول ما نزل كما هو معلوم؛ لكنها أول ما وقع في ترتيب المصحف باتفاق الصحابة رضي الله عنهم؛ لذلك كان العلماء رحمهم الله من بعد ذلك يبدءون كتبهم بالحمد لله رب العالمين؛ اقتداءً بعمل الصحابة رضي الله عنهم في كتاب الله عزّ وجلّ. هذا من وجه.

سنة (٨٥٢هـ).

راجع ترجمته في الضوء اللامع (٢/٣٦-٤٠)، القلائد الجوهريّة (٤٥٤-٤٥٧)، شذرات الذهب (٧/٢٧٠-٢٧٣)، البدر الطالع (١/٨٧-٩٢)، مفتاح السعادة (٢/٢٣٦)، معجم المؤلفين (٢/٢٠-٢٢)، الأعلام (١/١٧٤).

ومن وجه آخر: أن الرسول ﷺ كان يعلم أصحابه خطبة الحاجة التي يخطبونها في مقدمة كل حاجة، وهي مبدوءة بالحمد لله.

ثالثاً: أن الرسول ﷺ كان يبدأ خطبه بالحمد والثناء؛ فلذلك ابتدأ العلماء رحمهم الله كتبهم بذلك.

يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ» «أل» في قوله «الحمد لله» يقول العلماء: إن (أل) هنا للاستغراق، و(أل) التي للاستغراق علامتها أن يحل محلها (كل) بتشديد اللام؛ وعليه فيكون معنى «الحمد لله»: كل حمد لله؛ والحمد: هو وصف المحمود بالكمال؛ مع المحبة والتعظيم؛ فخرج بقولنا: «مع المحبة والتعظيم» المدح؛ لأن المدح وصف للممدوح بالكمال؛ لكنه ليس مقروناً بالمحبة والتعظيم، ثم الله تعالى يُحَمِّدُ عَلَى كَمَالِ صِفَاتِهِ، وَيُحَمِّدُ عَلَى كَمَالِ إِعْنَامِهِ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيًّا مِّنَ الدُّنْيَا﴾ [الإسراء: ١١١]، وهذا حمد على صفات الله عزَّ وجلَّ الكاملة، وكذلك أيضاً يحمده الله تعالى على إنعامه، ومن ذلك قولُ النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحَمِّدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيُحَمِّدُهُ عَلَيْهَا»^(١).

فالمؤلف رحمه الله هنا حمد الله على إنعامه.

وقوله: «الله» اللام تحتمل معنيين المعنى الأول: الاختصاص،

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم (٢٧٣٤).